قضايا تعريب الكيمياء ومشاكله

للدكتور عادل أحمد جرار
(الجامعة الاردنية)

ان مسألة تعريب الكيمياء جزء من مسألة اكبر، هي مسألة تعريب العلوم ، وخصوصا في المراحل الجامعية . وقد شَغَلَت هذه القضية اهلَ العلم والفكر ردحا طويلا من الزمن ، فهم بين مناصرين لتطبيق فكرة التعريب ومعارضين لها ، ولكل فريق حججه التي يدعم بها وجهة نظره .

وفي رايي ان هذه المسألة لا تقبل أنصاف الحلول او الحلول الجزئية ، فهي إما أن تكون تعريبا كاملا شاملا ينتظم جميع مراحل التعليم والدرس ، ويمتدّ ليشمل جميع الاقطار التي تتخذ العربية لغة ، او ان تظل محاولات مبتورة ، عديمة الجدوى ، ربّما ادت الى ضرر ان كانت تنحصر في اقليم دون آخر ، او كانت تتناول فروعا معيّنة من العلوم،او مراحل محددة في سلّم التعليم .

واقوى الحجج التي تساق تاييدا لفكرة تعريب العلوم هي :

١ ــ من الناحية التربوية المطلقة،يكون استيعاب الدارس اقوى واشد فعالية ان كانت دراسته بلغته الأم ، فهو بذلك ينصرف بكامل جهده الذهني لفهم المعضلة العلمية المعروضة ، بدل أن يصرف جانبا غير يسير من جهده ووقته لفهم معمّيات اللغة الاجنبية التي يدرس بها ، الى ان يتوصل الى فهم وتحليل الموضوع العلمي الذي وصفته له . وقد ساق الكثيرون براهين لهذه الحجة من نتائج المقارنة بين مجموعتين من الطلاب،احداهما تدرس موضوعا علميا باللغة العربية، واخرى تتلقاه بلغة انجليزية او فرنسية .

ولكـــن الامر في الواقع من البداهة بحيث لا يحتاج الى برهـــان ؛ فانك اذا قدمت موضوعـــا علميا لطالب عربي بلغـــة عربية سليمة ، وكانـــت لديك الوسائل والقدرات على أن تعبّـــر عن هذا الموضوع بشكل يخلـــو من التعقيدات والابهام في المصطلح والاسم والوصـــف ، فمما لا شك فيه عندئذ أن هـــذا الطالب سيفهم الموضوع بصـــورة اسرع واكمل مما لو قُدِّم لـــه بلغة اجنبية .

اذاً فَلُبّ الامر هـــو ان نستطيع وصف الموضوع العلمي بطريقـــة تخلـــو من التعقيد والابهام ؛ وهذا امـــر مهـــم ساعود اليه حين احلّل القضايا والمشاكل التي تكتنف تعريب الكيميـــاء .

٢ ــ امـــا الحجة الثانية التي تساق ، وهي ايضا حجـــة لهـــا وجاهتها ، فهي أن الاعتزاز القومي باللغـــة العربية يفرض علينـــا أن نعرّب العلوم . وكثير من المحتجين بهـــذا يذهبون الى أن تدريس العلوم بالعربية عامل مهـــم في سبيل الوحدة العربية ، وكان هذه الأمـــة تفتقر الى عوامل الوحدة ؟ وايـــن عامل الوحدة هذا من الديـــن الذي ننضوي تحت لوائـــه ، حيث تقف الملايين كل يـــوم تعبد ربّهـــا في صلوات واحدة ، تقرأ قرآنـــا واحدا ، وتهتف باسم الـــه واحد من اعلى مآذن مساجدها وفي محاريبها . وان كانت هذه الأمـــة ستتوحد ، فهذا جمهور وحدتها ؛ وايـــن من ذلك جمهور الجامعات،وهـــم قلّـــة ؟

علـــى اننـــا،وبسبب ذلك،لا بـــد أن نقدّس اللغة العربية ونجلّها ، فهي الوعاء الذي صُبّ فيه قرآننـــا وسُنّتنا ، وادبنا وشـعرنا،وخوالج نفوسنا ، وهي الوعـــاء الذي اتسع يومـــا ليكون قادرا على استيعاب نشاطنا العلمي ابان ازدهار حضارتنا العربية الاسلاميـــة ، حين كانت اللغة العربية لغـــة العلم العالمية الاولى مـــدة تقارب القرنين .

وعلينـــا أن نؤمن بأن هذه اللغة التي قامت بهـــذا الدور قادرة على القيام بـــه مرة اخرى،شريطة أن نجلـــو عن صفحتها الناصعة غبار التخلّف والاهمال بجهودنـــا ونشاطنا العلمي في العصر الحديـــث .

ويحضرني هنا قـــول شاعرنا حافظ ابرهيم متحدثا باسم اللغـــة العربية :

وسعتُ كتاب اللـــه لفظا وغاية وما ضِقتُ عن آيٍ بـــه وعظاتِ

فكيف اضيقُ اليوم عن وصف آلة وتنسيق اســـماءٍ لمخترعاتِ

بيـــد انـــه يضيف الى ذلـــك :

انا البحر في احشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

نحـــن بحاجة، ليس فقط الى الغوص في بحر اللغـــة العربيـــة لاستخراج مكنونه من الدرّ ، ولكننـــا بحاجة الى ثاقبين لهذا الـــدرّ ، لجعله قلائـــد تزين صدر اللغـــة العربية في ميادين العلوم ؛ فـــلا نريدها أن تقتحم ميدانـــا تخلّفت عنه فترة طويلة دون استعداد وافٍ يزيـــد من جمالها ويُغْنِيها بالممارسة . لا نريـــد أن تكون تجربتنا فـــي التعليم والنشر بالعربية عائقـــا يحول بيننا وبين السير في تيـــار العلـــم والثقافة العالمي . ولا يضيرنا أن نذكـــر أن ما تـــمّ حتى اليـــوم من محاولات تعريب في عـــدد من الاقطار العربية ليس على المستـــوى المطلوب ، فهي تقصّر بنـــا عن مواكبة اهل العلم في مسيرتهم الظافـــرة ، دون اعتماد كبير على اللغـــات ذات الانتشار العالمي . فممـــا لا شك فيه أن للعلم المعاصر بضع لغـــات دولية ؛ ولتوضيح ذلك تَنـــاوَلْ موضوعا علميا من المواضيـــع المطروقة كثيرا هذه الايـــام ، وأحْصِ المنشورات العلمية التي تظهر عنه في عـــام معين ، فاذا فعلت ذلـــك ستخرج دون ريـــب بنتيجة مفادها أن معظـــم البحوث ذات القيمة نشرت ضمن عـــدد محدود من اللغات ؛ وانك إن كنـــت قادرا على قراءة هذه اللغات وفهمهـــا خرجت بزبدة البحوث في ذلك المجال المعين .

وستجـــد حتما أنك ان اتقنت لغتين من لغات العلم الدوليـــة، ستصل الى مـــا لا يقلّ عن (٧٠٪) مما نشر عـــن الموضوع . ومع انك ربمـــا تحتاج الى معرفة ما يقارب عشرين لغـــة لقراءة كل ما كتـــب عنه، الا أن ذلك أمـــر لا يستحق العناء ، لانك ان قَيَّمت المنشورات علـــى انفراد ستجـــد القيّمة منها منشورة باحدى اللغـــات الدولية . ذلك

انـــه ان توصّل عالم عربي او سويدي مثلا الى كشف ذي قيمة كبيرة في ذلك المجال ، فان همّـــه الاول سيكون أن يصل بـــه الى جمهـــرة المشتغلين بـــه ، فنجده يلجأ الى نشره باللغـــة الانجليزية مثلا ، وفي احدى الدوريات ذات الشـهرة العالميـــة .

مـــن واجبناء والحالة هذه،ان نعمل على دفع لغتنـــا العربية الى مصاف اللغات الدولية ؛ وهـــي مكانة احتلتها سابقا . وهذا امـــر لـــن يتسنى لنـــا تحقيقه بقرار نتخذه ارتجالا ، ولـــن يتسنى لنا الوصول اليه بين يـــوم وليلة ؛ فاستعداداتنا الحالية لا تجاوز في أغلـــب الاحيان الحماسـة والنيّـــة الطيبة . لكن ، كما قيـــل في الامثال الصينية ، فـــان رحلة الالف ميل تبـــدأ بخطوة واحدة ، فلا بـــد لنا أن نخطو الخطوة الاولى ، ولكننا نريدها خطوة واثقـــة لا تراجُع ولا نكوص بعدهـــا . ولهذا فان من واجبنـــا استجلاء المصاعب والعقبات ، والاشارة الـــى الوسائل التي تضمن لنـــا التغلب على المصاعب وتخطّي العقبـــات ، حتى نضع بين أيدي أجيالنـــا القادمة السلاح الذي يمكّنهم من الســـير بهدى وعلى صراط مستقيم . وفي ما يلـــي سأمر على بعض القضايـــا ذات العلاقة الوثقى بتعريب الكيميـــاء .

المصطلح الكيميائي : ان جهـــود التعريب لا تثمر دون مؤلفـــات كيميائية قيّمة باللغـــة العربية . ومن الطبيعي أن المحاولات الاولـــى كانت ترجمات من اللغـــات الاوروبية ــ سأعود الى الترجمة كقضيـــة منفصلة بعد حين ــ وقد تلت الترجمات مؤلفات باللغة العربية . جميع هذه المحاولات حتى الآن محصورة ضمن القطـــر العربي الذي بدأت فيـــه ، وفي اغلب الاحيان نتكلم لغـــات كيميائية مختلفة . ذلك ان وضع المصطلح كان حتى الآن اجتهادا فرديا ، او كان يتـــمّ بالمشاورة مع أقرب محيـــط للمترجم او المؤلف ؛ ولذلك نجـــد اختلافات كبيرة بين مـــا يُستَخْدَم في قطر عربي وما يُستَخْدَم في قطر آخـــر . وان استمر الحال على ذلـــك سنصل الى وضـع يشبه برج بابل ، حين لم يكن احـــد يفهم أحدا غيره . كل ذلك رغـــم جهود مكتب تنسيق التعريب ، ورغـــم المعاجـــم التي

أوردت سلسلة من المصطلحات ؛ فهذه لا تكاد تفي بحاجة مناهج المدارس الثانوية . وكثيرا ما يوضع المصطلح الكيميائي بطريقة متسرعة ، فلا يفي بالغرض الذي وضع من أجله ، لكنّ تأثير قطر عربي استعمل هذا المصطلح قد يكون واسع الانتشار ، فنرى هذا المصطلح ينشر ويغرس جذوره رغم عدم صلاحيته .

نخلص من هذا الى أن جهود وضع المصطلح جهود مرتجلة ومعزولة وتؤدي الى فوضى وارتباك ، فكلمات :
(Isomerism, physics, Ion, Atom)

وكثير غيرها لا تعني نفس الشيء في كل البلاد العربية .

اين العلاج ؟ لا شك ان في عقد ندوة لهذا الغرض جهدا ايجابيا نحو العلاج ، إن خرجنا منها بنتائج محددة لوضع اسس للعمل على تقديم الوقود الصالح لعمليات الترجمة والتاليف . ولكن يجب أن اذكر ان الكيميائيين ، رغم اتقان بعضهم للّغة العربية ، لا يزالون بحاجة الى عالِم اللغة العربية الذي اعتدنا منه الشعارات الرنانة التي تقول أن النحت والاشتقاق والوسائل الاخرى كفيلة بسد حاجات اهل العلم ؛ لكننا لا نراه يضمّ جهده في ذلك الى جهد الكيميائي او غيره من اهل العلم . ولا يظنَّنَّ احد ان هذه المهمة ذات بداية ونهاية ؛ كلاّ ، فهي مهمة مستمرّة متجددة ما دام العلم يتطور ، وما دام العلماء يكتشفون كل يوم جديدا ، ويسمّونه ويصفونه بكلام جديد ، سواء اكان هؤلاء العلماء عربا أم غير عرب .

لذا فان المطلوب هو أن يقوم علماء الكيمياء واللغة في البلاد العربية بعملية منظمة لاستنباط المصطلحات ونشرها وتوحيدها ، كما أن المطلوب ان يتحوّل مكتب تنسيق التعريب الى المبادرة بتشجيع هذا الجهد ودفعه نحو النجاح .

التسميات : رغم عدم استطاعتنا فصل ميدان المصطلح عن ميدان التسمية ، الا أن هناك مئات الآلاف من المركّبات الكيميائية التي

تحتاج الى ان نضع لهـا اسماء ، كما ان آلافا جديدة منهـا تضـاف للمعترك الكيميائي في كل سنة ؛ والمشكلـة التي يخلقها هذا السيـل العـرم تستدعي من علماء الكيمياء في العالم عقـد الندوات والتشاور لوضع الاسماء ، وتنقيح طـرق التسمية بصورة مستمرة . فماذا نفعـل نحـن ؟ هل نأخذ الاسم الاجنبي ونكتبه بحروف عربيـة ، ام نضع لنا طريقة خاصة بالتسمية ؟ الاتجـاه السائد حتى الآن ، والذي لا يجـادل احـد في انـه الاسهل ، هو الاول ، مـع اصرار الاكثرية على ان يوضع الاسم الاجنبي في كل حالـة للاسترشاد بـه ، ولابقاء الصلة مع اللغات الاجنبية . ولا شك ان هـذه الطريقة ستؤدي بالدارس الـى ان يقـرأ وان يفكر باللغة الاجنبية ؛ لان ادراك مرامي هـذه الاسماء يتوقف على فهـم ما تنقله مقاطعها الاجنبية كلٌ بنفسه ؛ فلـو كتبنـا الاسماء باللفظ العربي وحده،فاننا دون شك نكون قد قطعنا صلة تلـك الاسماء بأصولها ، لتصبح كنباتٍ اجتُثَّ من جذوره ، يتيما مالـه من قرار .

لقـد حاولت استيضاح آراء مجموعة من طـلاب الجامعة الاردنية حول هذا الامر ، وطلبت منهـم الاجابة على الاسئلة التاليـة :

ارجـو ان تجيب على الاسئلة التاليـة بوضع دائرة حـول الجواب الذي تختـاره :

١ ــ كلمـة (٢ ــ ميثيل سايكلوهكسانون) تدلّ على مركّب كيميائي معروف لديك . اذا قرأتهـا او سمعتها ، فما هي الطريقة التـي تنتقل فيها الى ادراك المركّـب الذي تدلّ عليه بتخيّل صيغتـه او كتابتهـا ؟

١ ــ هـل تخطر الصيغة ببالك مباشرة مثلما تتصور طائرة لـدى سماع الكلمة او رؤيتها مكتوبـة ؟

٢ ــ هل تعود بذهنك للأصل الانجليزي للكلمة
2- Methylcyclohexanone
وتستنيد من مقاطعها للدلالة على معناهـا ؟

٣ ــ هــل يتعذر عليك فهــم دلالة الكلمة كليــا ؟

٤ ــ هــل تعتقد ان فهمك لهــا سيكون سهلا لــو كانت مقاطعها قد فُسِّرت لك اولا ، كما جرى في حالــة الاسم الانجليــزي للمركّب ، رغــم ان لفظ كل مقطع بالعربية لا يدل على ما يــدل عليه مقابله بالانجليزيــة ؟

٢ ــ القضية التي عرضتُ في السؤال الاول ستثار لــدى تسمية اي من مئات الآلاف من المركّبــات الكيميائية . في ضوء تقديرك الشخصي للموقــف :

١ ــ هــل تحبّذ ان تدرس الكيمياء بالانجليزيــة ؟

٢ ــ هــل تحبّذ ان تدرس الكيمياء بالعربية مع اخذ الاسماء بألفاظها ؟

٣ ــ هــل تحبذ ان تدرس الكيمياء بالعربية مع وضع طريقة عربية خاصــة بالتسميــة ؟

٣ ــ اذا عُرِّبَت الكيميــاء وأُخِذَت المصطلحات والاسماء كما تُلفَظ باللغة الاجنبية،وكُتِبَت بحروف عربية ، هــل تعتقد ان كتابتها غير مشكولة ستخلق مشاكل ، كأنْ تقــرأ الكلمة على وجوه عديــد ؟

١ ــ نعــم

٢ ــ لا

وقــد حللت اجاباتهم وحصلت على النتيجــة التاليــة :

السؤال الأول :

الجــواب	١	٢	٣	٤
النسبة المئوية	١٨٪	٧١٪	٢٪	٩٪

السؤال الثاني :

الجــواب	١	٢	٣
النسبة المئوية	٥١ر٣٪	١٩ر٦٪	٢٩٪

السؤال الثالث :

الجـــواب	نعـــم	لا
النسبة المئوية	٨٤٪	١٦٪

مـــن جواب السؤال الأول نلمس اثباتا لمـــا قلناه من ان الطالب مضطرّ للعودة بذهنه الى الاسم بلغتـــه الاصلية ؛ فالعملية الذهنيـــة هذه ضرورية للفهـــم . ورغم ان نسبة الاجابة على السؤال برقـــم ٣ أو ٤ منخفضـة ، الا ان ذلـــك يُعزَى الى ان المركّب المختار مألوف للطلاب . ولا شك لديّ ان مشكلةً ستواجه الطالب في فهـــم اسم جديد ، فهو يجد هذه المشكلة حتى لـــو كان يدرس باللغـــة الاجنبية ، فبالاحرى سيجدها، وبشكل أحـــدّ، اذا عُرِض لـــه الاسم مجرّدًا عن نظيره الاجنبي .

ومـــن اجابة السؤال الثاني نجـــد ان الطلاب ينقسمون بالتساوي تقريبا بين المحبّذين للدرس باللغـــة العربية ومن يفضلون الدراســـة باللغـــة الانجليزية (٥١ر٣ ، ٤٨ر٦ على التوالي) . الا ان الملاحظ انـــه، ضمن من حبذوا الدرس بالعربية،هنـــاك اغلبية تفضّل وضع الاســـماء بطريقة عربية خاصة ، وان كنت لا أجـــد دليلا على ماهيّة هذه الطريقة ، لا بين الطلاب انفسهم ولا بين علمـــاء الكيمياء ، فهي مسالة فَضَّـــلَ الجميع عـــدم طَرْقها،كما اسلفنا .

مـــن الاجابة على السؤال الثالث تتّضح اهمية المشكلة التي تجابهنا حين يتعرض الاسم الكيميائي للتغيير في لفظـــه،نتيجة قراءة الاســـم العربي على وجوه مختلفة،ان لم يكـــن مشكولا ؛ وهذه مشكلة تتنـــاول المصطلح المأخوذ بلفظـــه عن اللغات الاجنبية ايضا ؛ وهي مشكلة لـــن يتخطاها الدارس الاّ بتكرار استخدام المصطلح او الاسم بعـــد سماعهما صحيحين لأول مرة ؛ اذ لا يُعقَل ان تُصْرَف الجهـــود الاضافية في الطباعة لشكل كلٍّ من هذه الكلمـــات .

الرمـــوز والاعـــداد :

هنـــاك خلط كبير في الرموز المستخدمة في الكتـــب التي تُرجمت الى العربية او كُتِبَت بهـــا ؛ وليس من الضروري ان يوجد الخلـــط في الكتاب الواحد ، بل انـــه يظهر على شكل اختلافات بين الكتـــب ذات الموضوع الواحـــد، والتي تظهر في القطر نفسه، او في اقطـــار اخرى .. فالامر هنـــا فيه اختلاف لا يقـــلّ عن الاختلاف في المصطلح ؛ ذلك ان اللغـــات الاجنبية تقدّم مجالا اوسع لاختيـــار الرموز، من حيث وجود الحرف الكبير والصغير ، وكذلك كتابة الحـــرف نفسه بصور مختلفة ، وبخطوط مختلفة (عاديّ او مائل) ؛ ورغم ذلك نجـــد احيانا اختلاطا في الرموز . وفي العربية يضيق المجـــال اذا اقتصرنا علـــى استخدام شكل واحـــد للحرف ، الا ان بوسعنا استخدام اشكال مختلفة لتقدم مـــادة كافية للرموز ؛ لكن يجب الحرص على أن لا تكون النقـــط المصاحِبَة لبعض الحروف مصـــدرا للتشويش .

وهنـــاك مصدر آخـــر للاختلاف والخلط، ويصحبه العديد مـــن المشاكل التي لا تظهر لنـــا لأول وهلة ؛ ذلك ان هنـــاك اتجاهـــات لوضع رموز عربيـــة للعناصر ، واستخدام الاعـــداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ... معهـــا . وفي الحقيقة ان هذه الاعداد ذات أصل هنـــدي ، وامـــا الاعداد ... 1 ، 2 ، 3 ، 4 فهي الأعداد العربية ؛ ولا بـــد انها كانت تُستخدَم من قِبَـــل العرب ، وقد اخذت بهـــا اقطار عربية كثيرة فـــي الوقـــت الحاضـــر .

الرمـــز الكيميائي لعنصر في اللغات الاجنبية لـــم يُبْنَ على قاعدة تربطه بالاسم المستخدم لـــه في تلك اللغة ، وانما هو، كما نعرف، مستمَدّ من اسم قد يكون من اللاتينيـــة او اليونانية او احدى اللغات الاجنبيـــة الحديثة، باخـــذ الحرف الأول ، أو هـــذا مع حرف آخر . اذا كنـــا نقبل ان نكتب الكلمـــة الاجنبية بحروف عربيـــة، ونطمع عندئذ بـــأن نتعرّف على المسمى مـــن التسمية ، فكيف نضيق بالرمـــز الاجنبـــي O، او C ، او Se ، او Ge ، او Na ، او Fe ، ولا سيما انها ستظهر

في المركّبات ، وقد يظهر الواحد منها عـدة مرات ؛ فكيف اذا كـان رمـزا بحروف عربية منقطة ؟ الا يخلق ذلك مجالا لخلط هذه النقطـة أو النقطتين مع الكتـرون،او زوج من الالكترونيات،كما يُرمَز لها عادة ؟

ثـم اليس من مبادىء التعرف على مركّبٍ النظر الى صورته او صيغته ؟ فهل نساعد على ذلـك ان غيَّرنا الصورة والصيغة باستخـدام الحروف العربية للرموز ؟ والدارس منـا مضطرٌ للاطلاع على هـذه الصيغ ، سواء اكانت بنائية ام جزئية ، وذلـك لاستخراج المعلومات عنها من المختصرات التي تستخدم الصيغة كمفتاح . الا يكون مـن الافضل الابقاء على هذه الرموز بـدل ان نضطر في كل مرة الى اعادة كتابتها كخطوة اولى نحـو استخدام هذه المختصرات ؟ ومـا الضير في العودة الى الاعداد العربية إن وَجَدنا انهـا جـزء ضروري من هـذه الصيـغ ؟

اذا كـان هدفنا الأول من التعريب ، وباتفاقنا ، هـو تسهيـل فهـم المـادة العلمية انطلاقا من المبـدأ القائل بأن الاستيعاب باللغة الأم اقوى ، فان أي عامـل يساعد على الاستيعاب يجب ان يُبْقَـى عليه ، وأيّ عامل يقف حجـر عثرة في سبيل هذا الاستيعاب لا يُجدر بنـا التمسك بـه .

وفي ذهنـي يرتبط الابقاء على الرموز ، وهي عالَميّـة الاستخدام ، بقرنها باستخدام الأعداد العربية ؛ ولا يضيرنا انهـا (الرموز والاعداد) تُكتب من اليسار الـى اليمين ، فهذا أمـر شكلي لن يضرّ باللغـة العربية،ولـن يعيق من قدرة الدارس على الاستيعاب ؛ ثـم الا تُكتَب بعض الارقام الهنديـة من اليسار الى اليمين ؟ ٦ ، ٩،الى حـد مـا ، وبعض الارقام العربية الا تُكتَب مـن اليمين الى اليسار 9, 6, 5, 4 أي أن اتجاه الكتابة ليس مطلقا ، وليس مرتبطا بلغـة دون اخرى .

الترجمـــــة :

مـن الحجج التي يتذرع بهـا خصوم التعريب عدم توافـــر المـادة العلمية باللغة العربية ، مقارنةً بما يُفيض بـه المحيط العلمي من كتب دراسية ، وكتـب متخصصة ، وسلاسل كتـب ، ونشرات ودوريـــات .

وهي حقيقة نجـد انفسنا مضطرين للاعتراف بهـا ، ليس على مستوى الكَـمّ فقط ، ولكن على مستوى النوع أيضـا . لذلك فـان هناك بعض التضحية في مدى الاختيـار، تفرضها ظروف الفترة الانتقالية حين نضطرّ الى اعتمـاد كتاب معين ، بينما يكون المجـال الاوسـع مفتوحا أمامنا للاختيار لـو درسنا بلغـة اجنبية . ذلك لانه لا بـدّ لنـا ان نعترف انـه قبل أن تتّضح معالم الطريق أمامنـا للتاليف على نطاق واسع ، فـلا بـد ان نلجأ للترجمة باختيار افضل الكتب ونقلهـا للعربية . ولا بـدّ ان نلاحظ أن هذه الحركة في الوقت الحاضر ضيقة الى ابعد الحدود ، ولذلك فاننا نجابَهُ بِقلّـة الكتب المترجمة ، ونجـد اننـا نُقَصِّر في متابعة التطورات العلمية بالترجمة الدائبة والاستعداد لاضافة كل جديـد .

ومنـذ مـدة طويلة، مثلا، قامت اكثر من محاولة لترجمة كتـاب في الكيمياء العضوية ، واستغرقت وقتـا طويلا ؛ وحين وضع الكتاب بين ايدي الطلاب، كان قد عفى عليه الدهـر في مصدره ، وحلّت محلـه كتب جديدة ذات مستويات افضل ؛ فهـل كان بامكاننا متابعة الجديـد بجهد جديد ؟ كلاّ . لمـاذا ؟

عمليـة الترجمة بحاجة الى عوامـل عديـدة :

اولهـا : الجهاز المتخصص الذي يسعى لاختيار الكتب بالاستعانة بأهل الاختصاص ، ثـم يُجري الاتفاقات بشأن ترجمتها ونشرها بشكل لائـق لا يقلّ عن مستوى الكتاب الاصلي . وهـذا الجهاز يجب ان

يكون شاملا للاداريين والرسامين والمصورين ، وأن تكون لديه مطبعة ، أو أن يكون بامكانه الاعتماد على جهود مطبعة دون تأخير .

وثانيها : المترجمون القادرون على تولي هذه المهمة،والتعبير عن المادة العلمية بلغة عربية جيّدة ؛ ولا بد في نفس الوقت ان يكونوا مؤمنين بالفكرة ، عاملين للتمهيد لها باستنباط المصطلح،وطريقة التسمية،واسلوب الكتابة الجيّد . وانت اذا بحثت عن هؤلاء ستجدهم بصعوبة . ذلك ان معظم جامعاتنا تعتمد في تدريب هيئاتها التدريسية على ارسال المبعوثين الى الجامعات الاجنبية ، فتجد أن الكثير من اعضاء الهيئات التدريسية إمّا عاجزين عن التعبير السليم باللغة العربية كلاما او كتابة ، وإمّا غير مكترثين للأمر، فليس لديهم حماس له ؛ وتجد بعضا منهم ، وهؤلاء ذوو خطر ، وقد تَحوَّل انتماؤهم فكريا وعقائديا نحو الغرب ؛ فهم حتى ان خاطبوك في شأن من الشؤون اليومية تَشدَّقوا بالانجليزية ، واذا عُرِضَتْ فكرة التعريب هزوا رؤوسهم وناوا بجانبهم ، وكأن الامر اثم او سبّة .

وكثيرا ما يتساءل البعض : هل سيتمّ التعليم باللغة العربية الفصحى،أم أن اللغات واللهجات العامية هي التي ستسود قاعات المحاضرات ؟ واذا كان الامر كذلك،فأي جدوى تعود على اللغة العربية من عملية التعريب ؟ الحقيقة أن اللهجات المحلية ليست على تلك الدرجة من القوة ، فهي على طريق الزوال نتيجة لانتشار صورة واحدة من اللغة الفصحى بانتشار الاذاعات والصحافة والمطبوعات المختلفة في الوطن العربي .

غير ان اللغة العربية الفصحى تعاني على السنة الساسة والعاملين في الاذاعات المسموعة والمرئية ، فان أضيفت لذلك معاناتها في غرف المحاضرات ، فليس العيب في ذلك كامنا في عملية التعريب نفسها ، بل في القصور عن تنمية القدرات الاساسية في اللغة العربية لدى الطلاب في مختلف مراحل الدراسة ، حتى اذا ما شبّوا عن الطوق

وصاروا رجال سياسة او اعلام او تعليم، نجدهم لا يتقنون لغتهم ولا يحسنون التحدث بها .

وثالثها : التمويل : اذا وُجِدَتْ المترجمين الصالحين ، فيجب ان تجد المال الكافي لمكافاتهم بشكل مُجْزٍ على عملهم كي يتقنوه .

وكذلك يجب توفير المال الكافي لجميع الفنيين اللازمة جهودهم للخروج بالكتاب الى حيّز الوجود ، كما يجب توفير تكاليف الطباعة وغيرها . كل هذه الامور تتطلب اموالا طائلة . واستطيع ان اقول، من تجربتي مع بعض الهيئات التي تصدّت لعملية الترجمة، إن هذا العائق كان حتى الآن العقبة الكأداء التي تحول دون توسّع العملية وانتشارها .

ومن طبيعة الاحتياجات اللازمة لعملية الترجمة نجد ان افضل ما يمكن تصوره لنجاحها ان تكون هناك هيئة عربية قومية تقوم بها ؛ فهي بذلك تكفل انصباب موارد الخبرات والمال من جميع الاقطار العربية، فتُولَد حركة الترجمة ولادة صحيحة قوية ، ويشتدّ عودها، وتنهض على اقدامها بثبات .

التاليف :

رغم ان الترجمة في المراحل الاولى ضرورية كصورة من صور نقل التكنولوجيا ، الا انه ، كما في حالة التكنولوجيا ، فاننا بعد فترة يجب ان يصدر عنا، وان نطوّر ما يناسبنا سواء اكان تكنولوجيا مناسِبَةً لبيئتنا ، او كتبًا علمية يضعها علماؤنا ، تأخذ بعين الاعتبار عقلية طلابنا ومصادرنا الطبيعية وصناعاتنا، وغير ذلك .

ودون ان اعود من حيث بدأت ، اقول إن متطلبات التاليف لا تختلف اختلافا كبيرا عن متطلبات الترجمة التي اسلفت ذكرها .

على انه في كلا الحالتين — الترجمة والتاليف — لا بد ان يجريا على نطاق واسع ، وبسرعة توازي ما يحصل من تطور في

العالم العلمي المتقـدم ، حتى لا نجابُه بقلة التنوع في المصـادر ، وبان تصبح بعض المصادر قديمة قبـل ان يتداولها الدارسون ؛ وهـذا لا شك كائن إن كانت الترجمة أو التاليف جهـودا فردية ، او تقوم بهـا هيئات ضعيفة المـوارد ، ونكون بذلك عرضة لعُزلة كليـة او جزئية عن تيّار العلـم .

ولا يفوتني أن اذكر انـه ، لإحكام الصلات بين العلماء العـرب والاجانب ، لا بـد لهاتين العمليتين ، وخاصة الترجمة ، أن تسـيرا في اتجاهين : فننقل أحيانا ما يصدر عن علمائنـا من مؤلفات ومنشورات عربية الى لغـة اجنبية ، ان كان لدينا ما نَفْخُر بان يطّلع العالم عليـه .

اللغـات الاجنبيـة :

أشرنـا في ثنايا هذا الحديث الى ان هناك بضع لغـات علميـة دُوليّة تسود العالم العلمي في الوقت الحاضر . لذلـك ، وعلى افتراض العمل الجاد والسير بحركـة التعريب بخطى ثابتة ، فلا بـد لنـا من التوسّع في تعلّـم اللغات المذكورة ، اذ لا غنى للدارسين عندنـا عن الاطلاع علـى المنشورات العلمية التي تستحيل ترجمتها لكثرتهـا ، كما انهم لا بـد مضطرون للرجوع لمصادر الدراسة الاجنبية استـزادة للمعرفة . كما أنهـم يجب أن يكونوا قادرين على فهـم المحاضرين من الزوار الاجانب الذيـن تُعتَبَر زياراتهم ضمن برامج التبـادل أمـرا جوهريا في النشـاط العلمـي .

زد على ذلك انـه ، حتى نصبح في وضع علمي متقدم يحفـز العلماء على تعلـم العربية لقراءة ما ننشر من أبحاث ، فلا مناص لنـا بين حين وآخـر من مخاطبة العالم العلمي باحدى اللغات العلمية الدولية .

وبعـد ، فان قائمة المشاكل التي تقف في طريقنا لا تقف عند هـذا الحـد ؛ وهي تتضخم بمقدار النقص في استعدادنا للتصدّي للمهمـة . لكن الاصالة وعلـو الهمة في ان لا نتخاذل امـام المشاكل ، ووعورة المسالـك .

وطبيعة هذه المشاكل والقضايا تتطلب ان تنال الدعم من الساسة واهل النفوذ ، حتى لا نكون كمن يحرث في البحر ؛ فالحلول الماثلة امامنا تتطلب المال والتنظيم والتعاون ، والا لن نتقدم قيد انملة نحو تعريب التعليم والنشر .

انني رغم ذلك لا ادعي أن مجرّد التغلب على هذه المشكلات سيؤدي الى فيض من الابداع العلمي ، فهناك الكثير مما يعوق ذلك مما لا صلة تربطه بموضوع اللغة ، لكن ازالة بعض العقبات من الطريق حافز لنا للسعي نحو ازالة غيرها من العوائق والعقبات .

الدكتور عادل جرار